

عماره المسجد في الإسلام:

وفي الحديث الشريف: «من بنى مسجداً له في الجنة مثله» [3].

للمسجد بين المسلمين خصوصية يعيشها المسلمون فيما بينهم. فأول مسجد في المدينة وضع قوا عده النبي الأعظم (ص) هو مسجد قُبَّا، ثم بنى مسجده الشريف. ومن هنا بدأ المسجد يأخذ موقعه في وسط أبناء الأمة المسلمة.

وللمسجد عمارتان: عماره ماديه، وأخرى معنوية. وفي كل منها أجر، فالذين يعمرون مساجد الله في كلا البعدين، لهم من الخصوصية ما لهم، حتى أن القرآن الكريم خصصهم ببعض المكرمات. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمَلُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ أَمَنَ بِرَبِّهِ وَالْيَوْمَ أُلَآخرَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا فَعَسَمَ أُولئِكَ أَنَّ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [4]. إذن هنالك إيمان بالله، وتسليم الله فيما يتعلق بأصل التوحيد، وهو الأساس في بناء إيمان الإنسان المسلم، وكذا الإيمان باليوم الآخر، لما له من الخصوصيات، لأن الإنسان إذا ما وضع نصب عينيه ما في العالم الآخر من الخصوصيات، انضبطت جميع تصرفاته القولية والفعلية.

ثم إقامة الصلاة، وهي عمود الدين، ومعراج المؤمن، والواسطة بين العبد وربه. وهي لا تقاوم بطولها وقصرها، إنما تقاوم بما تولده في داخل الإنسان من حالة النورانية الخاصة، التي ينسلي منها ذلكم الخيط النوراني، حتى ترتفع به إلى عوالم الغيب، حيث العرش.

وكذلك إيتاء الزكاة، ففيه إشارة واضحة بينة لما للبعد المالي من أثر في بناء المجتمعات، كأن يحسن ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع، من تقدم ورقي وسعادة وكمال وثراء ورفاهية، فبغير المال لا يصل الإنسان إلى هدف، والقرآن صريح في ذلك حيث يقول: ﴿وَلَا تَنْدُسْ نَصْيَدَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ([5]). فالدنيا حق لي ولك وللآخر ما دمنا درجنا على هذا الكوكب، فعليك أن تأخذ نصيبك دون تعدٍ على الآخرين، وقتها تعيش السعادة، ومن يعيش من حولك سيناله الكثير من ذلك أيضاً.

ثم قالت الآية الكريمة: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا إِنَّمَا وَهْذِهِ التَّرْبِيَةِ فِي الْإِرْتِبَاطِ بِهِ، وَأَنَّ لَا يَرَى إِلَّا مَا يَكُونُ فِي دَائِرَةِ الْمُطْلَقِ، خَصُوصِيَّةُ لَا يَصْلَى إِلَيْهَا إِلَّا أَوْلَيَاءُ بَعْدَ مَجَاهِدَةٍ كَبِيرَةٍ مَعَ النَّفْسِ﴾.

فالباعث للمسجد هو الشوق إلى الله تعالى، والحضور في دائرة المطلق من خلال واحد من بيته يفتح أمام الإنسان الكثير من المسارات التي على أساسها يشخص ويعيّن وينطلق، وهذا أمر مهم جداً.

ثم يقول تعالى: ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهُوتَدِينَ﴾، وبعد تلك المسيرة الطويلة بين الإنسان ونفسه، ثم بينه وبين ربه، ثم الرجوع إلى عوالم الغيب في النفس، ومن النفس إلى النفس، ثم إلى الناس، مسارات تتوالى فيما بينها فيرشد الإنسان المسلم، بناء على الضوابط والقواعد الأساسية، من آية محكمة، أو رواية صحيحة عن محمد وآل محمد.

وللمسجد خصوصية عند الله تعالى، حددها وسيجيها، ولا يمكن أن تتجاوز تلك الحدود وذلك السياج. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لَا تَنْدُعُونَ مَعَ أَهْدَاءِ﴾ ([6]). وللأسف، أصبحت الدنيا اليوم بشكل آخر، ولم نرّ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنْدُعُونَ مَعَ أَهْدَاءِ﴾، وصار المسجد باسم فلان أو فلان، حال أن المساجد بيوت في الأرض، وال المسلمين فيها شركاء، وعندما انقسم الصفة، وأصبح هذا

المسجد لهذه الطائفة السنوية، وذاك لتلك الطائفة الشيعية، ضاعت الأمة، فالمسجد لا يقيّد بطائفة، ولا ببازل فيه، ولا بمؤسس له، ولا بإمام يؤمن الجماعة فيه، وإنما جميع المسلمين شركاء في أي مسجد يقام في مشارق الأرض وغاربها.

فالمسجد موطن العبادة الأول في الإسلام، من مكة إلى المدينة، ثم تشعبت البلدان وتعددت المساجد فيها.

والقرآن الكريم يحرك فينا واقعاً مفروضاً علينا كمسلمين، في أي بلد كان يعيش حالة من التعدد المذهبي، فيقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمْنَ مَنْ مَنْدَعَ مَساجِدَ أَهْلِ أَنْ بُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَهُ فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَاءْفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَرْزٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾([7]). فالخراب يشمل التخريب المادي المباشر من الهدم والتكسير وعدم رعاية النظافة وغير ذلك. كما يشمل قطع الطرق، ومنع المؤمنين من إقامة الصلاة والحضور في جماعتها في أي مكان كان. فهذا خراب أيضاً، وتشويه لصورة المسجد التي ينبغي أن تكون شاخصة أمام نواطير جميع الناس.

فمن يسعى في خراب المساجد، صغرت أو كبرت، لا يدخلها إلا خائفاً، لأنه مصنف على الأعداء، فليس من حقه أساساً أن يدخلها، لأنه يسعى للخراب، إنما يدخلها من يسعى لعمارتها. وعمارة المسجد تكون ولو بصلاة ركعتين فيها، أو تلاوة القرآن فيها، أو الدعاء والتسبيح والتهليل فيها، أو بالصلاحة على محمد وآل محمد فيها.

ثم يقول تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَرْزٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وبذلك خسروا الدنيا والآخرة، وهذا هو الخسران المبين.

قدسية المسجد وأهميته:

والمساجد أحب البقاء إلى الله تعالى، وهناك اليوم عزوف عام عن المساجد لدى الغريمين، الخاصة وال العامة، وإن كنت لا أرغب بهذا التوصيف والتقسيم، وكم هو ثقيل على نفسي، لكنه واقع نعيشه، فأذكره من باب أنه موجود، لا من باب القناعة بالموجود.

فالمسجد أحب البقاء إلى الله، لأنها:

1 - فيها مصداق الإقرار بـ بالعبودية حال التوجه للصلوة والسجود والخشوع بـ سبحانه وتعالى، وهو عروج خاص لا يشعر به إلا من يلتفت لما للسجود من قيمة وأثر على المكون الروحي الداخلي.

2 - منها ترتفع أصوات الداعين بـ سبحانه وتعالى، وبسبب ذلك يستجاب الدعاء. فمن يدعوا مفرداً قد لا يكون مؤهلاً لنظر اللطف من قبل المطلق له، ولكن الآخر قد يكون أكثر أهلية منه لذلك، فيستجاب للجميع بحسب داعٍ واحد، مؤمناً كان أم مؤمنةً. وهذه من النعم الكبرى التي يهيئها المسجد للمؤمنين.

ومن هنا يمكن لمن لا يستطيع الصلاة في المسجد جماعةً، أن يصل إلى أهل بيته، فقد تكون المرأة أو الولد أقرب إلى الله تعالى منه، فيتقدم للصلوة بهم، ويروضهم عليها، ويغرس هذه البذرة الطيبة في نفوسهم، ليرى بعد ذلك كم هي البركة غزيرة. لكن الصورة اليوم مقلوبة للأسف، فتجد رب الأسرة غاية ما يقوم به أن ينهض لصلوة الفجر، دون أن يكترث بأهل بيته وأبنائه. حال أنه راعٍ، ومسؤول عن رعيته.

3 - المساجد مواطن نزول الرحمة الإلهية، في العالمين الدنوي والأخروي، فزادنا اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فمن عمل

هنا صالحًا نال الجزاء الأولى هناك. قال تعالى في شأن زكريا (ع):

فَنَادَ رَهْ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ إِلَهَ يُبَشِّرُكَ بِيَوْمِ يُبَشِّرُكَ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةِ مِنْ إِنَّ وَسَيِّدَ دَارَ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ([8]).

فهذه البشرى والرحمة الإلهية جاءته من ربه وهو قائم يصلي في المحراب، وهو عنوان خاص لبيت من بيوت الله تعالى.

لقد أكدت الشريعة المقدسة تعظيم المساجد وتقديسها والحفاظ عليها، وتعظيمها من تعظيم الشعائر. قال تعالى: **وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ** **فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ([9]). وهذه قراءة للشعائر قد لا يلتفت إليها بعضاً، لأن قراءتنا أحياناً ناقصة، فلا نرى تعظيم الشعائر إلا في حدود بعض الطقوس التي نمارسها بخصوص بعض المناسبات، حال أن المسجد هو المنطلق والأساس والحجر الذي ارتفع على أساسه بناء الإسلام، وثبتت قواعده وأصلت أصوله، على يدي النبي الأعظم محمد (ص).

ضرورة رعاية حرمة المسجد:

ونسأل: من هم رواد المساجد؟ قد أحبب بلون من الجواب، أو تجنب هي بلون آخر من الجواب، ولكن أصدق الحديث ما جاء عن الله تعالى في كتابه المنزل على النبي المرسل: **فِي بُيُوتِ أَذْنَانِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَاللَّاْصَالِ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعً عَنْ ذِكْرِهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيَّتَاءِ الزَّكَاةِ يَخْافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَاللَّاْصَالُ** ([10]).

فلننظر لحالنا اليوم، إذ أصبحت تُلهينا التجارة والبيع عن ذكر الله، بل تبادل الرسائل في الجوّال ونحن تحت سقف المسجد. وكذلك الأحاديث

التي لا طائل من ورائها، وننسى أننا في محضر الله تعالى، وأننا نقدم القرابين العبادية بين يدي الله تعالى في زمان لا يتجاوز الدقائق المعدودة.

فالمسجد محل عبادة ووصول، ولا ينبغي التنصل من المسؤولية تجاهه، فالجميع يعنيه باحترامه وأداء حقه، فهو ليس محلاً لتبادل أطراف الحديث أو غير ذلك، ومن أراد أن يتداول أطراف الحديث في الجماعة والمساجد مكاتبٌ مفتوحة ومهيئة وفيها ما لذ وطاب، والخدمة في أفضل المستويات. فمن شاء أن يقضي وقتاً خاصاً للحديث أو غيره فليأت تلك المكاتب، ويترك للمسجد حرمته وخصوصيته العبادية.

ولا يفوتنـي هنا أن أقدم شكري لمن رسموا هذه اللوحة الجميلة لهذا الجامـع، وجعلـوا منها لوحةً يرـغـب الآخر في استـنسـاخـها، فأـنـتـمـ أـهـلـهـاـ،ـ وـأـنـتـمـ الـذـيـنـ نـقـشـتـمـوـهـاـ،ـ وـرـفـعـتـمـوـهـاـ عـالـيـةـ،ـ فـلـاـ تـسـمـحـواـ لـهـاـ بـالـتـشـوـهـ وـالـضـيـاعـ،ـ وـبـيـدـنـاـ نـحـنـ،ـ فـلـاـ مـجـالـ هـنـاـ لـلـمـجـاـمـلـةـ عـلـىـ أـسـاسـ الصـدـاقـةـ أـوـ الـقـرـابـةـ،ـ فـنـحـنـ جـمـيـعـاـ نـأـتـيـ إـلـىـ الـجـامـعـ لـلـصـلـاـةـ وـالـتـعـبـدـ،ـ وـالـمـسـؤـلـيـةـ تـقـعـ عـلـىـ عـاـتـقـ الـجـمـيـعـ،ـ فـلـاـ تـسـمـحـواـ بـخـسـارـتـنـاـ لـهـذـهـ الصـورـةـ الـجـمـيـلـةـ وـالـلـوـحـةـ الرـائـعـةـ،ـ وـلـاـ تـسـمـحـواـ أـنـ يـخـسـرـهـاـ الـمـشـهـدـ الـمـجـتـمـعـيـ بشـكـلـ عـامـ،ـ لـأـنـنـيـ إـذـاـ خـرـجـتـ مـنـ هـذـاـ مـسـجـدـ،ـ وـدـخـلـتـ مـكـانـاـ آـخـرـ،ـ وـسـمـعـتـ مـاـ يـقـالـ بـحـقـهـ،ـ مـنـ أـنـهـ فـيـ أـحـسـنـ حـالـاتـهـ،ـ فـلـاـ شـكـ أـنـنـيـ أـشـعـرـ بـالـسـعـادـةـ لـأـنـ لـيـ يـدـاـ وـحـطاـ فيـ رـسـمـ هـذـهـ الصـورـةـ الـجـمـيـلـةـ،ـ وـأـعـنـيـكـ أـنـتـ،ـ وـأـنـتـ،ـ وـجـمـيـعـ مـنـ لـهـ يـدـ وـدـورـ فـيـ ذـلـكـ.

فـحـقـ الـمـسـجـدـ عـلـيـنـاـ اـلـشـغـالـ بـالـعـبـادـةـ فـيـهـ،ـ وـهـلـ فـُـتـحـ الـمـسـاجـدـ إـلـاـ لـهـذـاـ الـأـمـرـ؟ـ فـلـمـاـذـ نـشـغـلـهـ بـمـاـ لـيـسـ مـنـ شـأـنـهـ؟ـ

إـنـنـيـ هـنـاـ لـأـعـنـيـكـ أـنـتـمـ،ـ بـلـ أـؤـكـدـ شـكـريـ وـتـقـدـيرـيـ لـكـمـ جـمـيـعـاـ،ـ وـوـاـهـ لـوـلـاـ الـوـقـفـةـ الـتـيـ وـقـفـتـمـوـهـاـ مـنـ حـيـثـ الـحـفـاظـ عـلـىـ هـدـوـءـ الـجـامـعـ وـنـظـافـتـهـ وـتـطـوـيرـ مـسـاحـاتـهـ وـأـرـكـانـهـ،ـ لـمـاـ وـصـلـنـاـ إـلـىـ هـذـهـ اللـوـحـةـ الـجـمـيـلـةـ الـتـيـ

ذُحْسَدُ عَلَيْهَا، وَلَوْلَا هَذِهِ الصُّورَةُ الْجَمِيلَةُ لِمَا جَاءَ الْأَعْزَةُ مِنْ هَنَا أَوْ هَنَاكَ، وَلَمَّا تَجَشَّمُوا عَنَّا وَالْوَصْولُ إِلَيْهَا، وَنَحْنُ نَتَشَرَّفُ بِخَدْمَتِكُمْ.

إن الإسهام بعمارة المساجد أمر مهم وضروري، وكل^{١٠} بحسبه، وقدر استطاعته، فلا أقل من الهدوء في المسجد، وعدم الضجيج، وكذلك في بيت الله، أمام الكعبة المشرفة، وعند مقام إبراهيم (ع) وحرم النبي الأعظم (ص). فعلى المسلم أن يكون سفيراً^{١١} لكتاب الله، ولمحمد بن عبد الله (ص).

وكذلك أخذ الزينة عند الذهاب لكل مسجد. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَاتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾([11]), والحمد لله أننا نرى ذلك ونلمسه، ولكن من باب التأكيد، كي لا نفتر ونتراجع، فتحقيق الانتصارات في الحياة اليومية ربما يكون سهلاً، إلا أن الحفاظ عليها هو الأهم والأصعب، والاستمرار في النجاح أهم من النجاح.

يقول الحديث الشريف عن النبي محمد (ص): « من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربَنَّ مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»([12]).

أما النهي عن البيع والشراء في المساجد، فيقول الحديث الشريف: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتكم»([13]).

فالمسجد بيت الله وليس بيتي أو بيتك، ولا هو مكتب للعقارات أو التجارة، أو البيع والشراء.

وللمسجد دور في التكافل الاجتماعي، إذ يمكن أن تقع الغفلة والنسيان عن الأخ أو الصديق أو القريب خارج المسجد، ولكن في المسجد يجتمع هؤلاء، فيلتفت بعضهم لبعض.

وبحسب الدراسات والإحصاءات الحديثة، لا تمر دقيقة واحدة في هذا الكوكب، دون أن يُرفع فيها نداء: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

كما يوجد في جميع أنحاء العالم ثلاثة ملايين وستمائة ألف مسجد، بمعدل مسجد واحد لكل 500 مسلم. وفي بلادنا العزيزة وحدها – التي تبلغ 30 مليون نسمة – أربعة وتسعون ألف مسجد. وهذه إحصائية حديثة في سنة 2019 م أعدتها شركة الخدمات المهنية والاستشارية، مع مركز تطوير الاقتصاد الإسلامي في دبي.

فما هو انعكاس هذه الكثرة من المساجد على مسيرتنا؟ لقد كان المسجد قبل ألف ومئتي سنة عبارة عن جامعة تضيء العالم بالعلوم والمعارف، فهل هي كالأمس؟

وفقنا الله وإياكم لكل خير، والحمد لله رب العالمين.